توجد امرأة واحدة على شيء من الاوصاف المذكورة حتى توجد مآت من النساء على ضدها ولكن المرأة على كل حال هي زخرف الدنيا وجمالها وبيت قصيدها وربيعها الدائم وانما الدنيا ام

﴿ بحث في السجن ﴾

لقد احتار اولو التدبير كثيراً في امر معاقبة المذنبين بالسجن وذلك لانهم ما وجدوا منها الفائدة المرغوبة بل لقد وجدوا سجن المعلم للتلميذ في المدرسة اشد تأثيراً واكثر تأديباً وذلك لان التلميذ حين يسجن في المدرسة لذنب ارتكبه يعد السجن امراً شديد الوقع عليه اذ هو قد منعه عن اللعب المعدود من اجل مسلياته واكبر امانيه واذا لم يسجن وكلف عملا مدة البطالة من نحو نسخ او حفظ كان ذلك اشد ايلاماً له لانه يكون قد منع عن اللعب اولا وكلف ما قد ملّ منه ثانيا على خلاف الرجل الكبير المذنب فانهم يتوهمون انهم اذا سجنوه فقد منعوه لذة الجلوس في القهوات والحديث في المنتديات او منعوه الربح الذي كان يناله مع ان كل هذا ليس بصحيح لان مآت والوفاً من الذين يسجنون انما هم من الذين ملوا تلك الملاهي او الذين لا ربح لهم ولا كسب او هم من ارباب البطالة والكسل الذين يهمهم التمادي في ذلك ولا يجدون غير السجن كفيلا . وانه لا ينكر ان كثيرين منهم لا يرتكبون الذنوب قصد ان يسجنوا فيستريحوا بل هم يرتكبونها قصد الانتفاع منها فاذا قدر لهم ان ضبطوا وسجنوا لم يكن ذلك بشديد

الوقع عليهم كما يتوهم اولو الحكم بل ان هذا شديد الوقع من الجهة الادبية على المهذبين وارباب الاعمال المحالة ولكنهم قد صاروا الان لا يسجنون حتى لارتكابهم الجنح بل يسامحون الى مدة خمس سنوات في اكثر الممالك كما ان هؤلاء فئة لا يعتد بها لقلتها بالاضافة الى مجموع المذنبين الذين حيروا الحكام حتى لم يهتدوا من امرهم الى امر

ولقد بحث احد الذين تولوا شؤون السجن دهراً طويلا في هذا الشأن فكان في جملة ما قاله انه كان يعتقد ان كثيرين من المذنبين كانوا يرتكبون الذنوب لمجرد حبهم ارتكابها من قبيل الهوس والجنون او انهم يندفعون اليها بعامل السكر حتى تبين له انه كان على خطاء في اعتقاده اذ ان الحقيقة التي بدت له ان الدافع قد كان من طريقة المعيشة واسلوبها وان السجن من اجل ذلك لا يعد سجناً بل هو نقل من شر الى شر اشد

اما بيان ذلك فهو شقاء المعيشة في المنازل ولا سيما منازل الفقراء الذين هم المخصوصون بهذا المقال لان الاكثرية منهم فانهم يتضايقون جداً في منازلهم لانه ليس فيها ادنى اثر مما يشاهدونه في خارجها من عوامل التسلية واللهو ولهذا فهم يقضون اكثر ساعات البطالة بل كلها جائلين في الاسواق والمتنزهات حتى يدعوهم ذلك الى الحانات التي هي اكبر الوسائل لقتل الوقت والتسلية وهناك تخلق لهم الشرور خلقة عن غير قصد منهم ولا دعوة فيؤخذون بها ويسجنون حتى يتضاعف الاذى عليهم لانه اذا كان الواحد منهم من العاقلين الودعاء وقد ارتكب ذنباً قاده اليه السكر وسجن من اجله فان خلقه يضيق فيه حقيقة حتى يبدو لرائيه انه لن يعود اليه ابداً ولكن الحقيقة ان هذه المضايقة لا تجيء وحدها بل يجيء معها

سوء العشرة وكثرة التحدث بالشرور مع سائر المسجونين حتى تغلب هذه على تلك فيصير ارتكاب الذنوب فيما بعد مسبباً عن تلك العشرة وغير ممتنع من تلك المضايقة وهذه حالة تقرب شيئاً من الجنون فلا يجدي السجن فيها . اما الذنوب المسببة عن مضايقة المعيشة في بيوت الفقراء فليس عليها من دليل اجل من مراجعة جرائد الشرطة في يوم الاثنين فانها ترجد في ذلك اليوم ممتازة بكثرة ما دون فيها من الذنوب عن سائر الايام وذلك لان مدة البطالة في ايام الاحاد كانت اكثر منها في سواها ولهذا كثرت بسببها المخالفات فاذا منع السبب كان ذلك انفع بكثير من العقاب عليه . ثم ان هناك سبباً آخر قلّ ان ينتبه اليه وهو الغرامة المالية فانها تفرض غالباً على الفقير اذ هو اكثر من سواه ذنوباً فلا يستطيع دفعها فيسجن من اجلها فيكون في هذا مضاعفة لشقائه وسبب لاعادة ذنوبه لانه حين يخرج من السجن يكون قد فقد مكانه في الهيئة التي يباشرها اما باستخدام غيره مكانه واما بالاستغناء عنه لسوء اخلاقه او ما الصق به من معرة السجن وبذلك يرتكب الذنوب التي سجن لاجلها اولا عن اضطرار وقصد بعد ان كان ارتكبها عن سكر او ذهول او جهل بعواقب ما يفعل وبهذا يكون السجن سبب شر للعالم وليس سبب اصلاح كما يزعمون وهذه احوال القطر المصري اجل شاهد على ذلك فان السجون تبنى كل شهر وشرائعها تتغير كل حين ولكن الشر لم يقل شيئاً بل هو يكثر ولعل نفس السجن هو الدافع اليه بحيث انه لو استبدل بتوبيخ علني شديد للمهذب او بضرب مغتدل للعاصي الساذج او بغرامة لمن يستطيع دفعها في الحال بدلا من السجن لكان اولى فيما يظن الخبيرون

ثم انهم يقولون ان الذي يصاب جبينه تهون عليه المنديات وهو قول صحيح لا رد عليه كما ان صحته تقضي بعدم الحكمة في اختيار السجن للتأديب لان الرجل حين يؤخذ بذنبه ويسجن ويرى نفسه قد صار ذليلا فان جبينه يصلب ويصير الهوان هيناً عليه حتى لا يعود يبالي به مرة اخرى وبذلك تكون الحكومة كانها سعت في انقاد انسان ماء حياته وان شئت فقل قد سعت في انقاده كله لان الحياء هو الانسان بجملته فمتى ذهب فقد ذهب هو نفسه

وعلى كل حال فانه قد ظهر ان سجن الغلمان في المدارس اذ هم على اخلاق واعمار متشابهة اشد جداً لدى التأثير من سجن الرجال وهم على حالة واحدة وكون كل واحد منهم يعد عالماً بذاته وجنساً مستقلا بكيانه . ولعله يأتي يوم ليس ببعيد يرى الانسان فيه انه كان على خطأ كبير في معاقبته بالسجن وانه كان يهدم ولم يكن يبني وها هم الان يحاولون منع السجن للامور المالية المحضة لانه انتقام وليس فيه اثر من تحصيل الحقوق او دافع لتأديتها بعد السجن فلا يبعد ان يتوصلوا لمنع السجون الحالية اصلا والاستعاضة عنها بدور المجانين او دور التعذيب الجسدي الموقت او المراقبة الدقيقة ونحو ذلك شيء كثير قد يكون افيد من هذه الامور التي نجح بها الغلمان في المدارس وفات نجاحها رجال المجالس